

تطبيقات نظرية المعرفة الأنثوية في باب العقائد

Applications of Feminist Epistemology in the Chapter of Beliefs

إعداد

أنوار بنت عبدالرحمن بن سليمان المكيرش

Anwar Abdulrahman Suleiman Al-Mukairish

Doi: 10.21608/jasis.2025.405812

استلام البحث ١٨ / ١٠ / ٢٠٢٤

قبول البحث ١٥ / ١١ / ٢٠٢٤

المكيرش، أنوار بنت عبدالرحمن بن سليمان (٢٠٢٥). تطبيقات نظرية المعرفة الأنثوية في باب العقائد. ***المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٩(٣١)، ٢٩- ٥٢.

http://jasis.journals.ekb.eg

تطبيقات نظرية المعرفة الأنثوية في باب العقائد

المستخلص:

هدفت الدراسة الى التعرف على كيفية تأثير القراءات الفكريّة النسويّة المعاصرة على المفاهيم العقدية الإسلامية. وتعزيز الفهم الدقيق للمسائل العقدية وفق المنهج الإسلامي القويم. وتتناول هذه الدراسة تأثير نظرية المعرفة الأنثوية على العقائد الإسلامية، حيث تسلط الضوء على محاولات بعض المفكرات المنتميات للحراك النسوي تحليل وقراءة النصوص الدينيّة والمفاهيم العقديّة كمفهوم (وحدة الوجود) وذلك من خلال زعزعة وتفكيك مبدأ الثنائية بين (الخالق/المخلوق) و (الذات/الآخر)، مما يخلق تصورا خاطئًا للشراكة بين العبد والرب -والعياذ بالله- وما يتبع ذلك الهدم بين ثنائيتي (الغيب/الشهادة) ونحوها، والتي بدورها تهدد الفهم الدقيق للمسائل العقديّة، فجاءت هذه الدراسة مؤكدة على ضرورة حماية جناب العقيدة الإسلامية من التحديات الفكرية المُضللة. تتمثل مشكلة البحث في التأثيرات التي أحدثتها قراءة المفكرات النسويات للنصوص الإسلامية، والمفاهيم العقدية، وذلك انطلاقًا من تنظيراتهن المعرفيّة الأنثويّة، المبنيّة على هدم الحاجز بين الثنائيات، مما يستدعي دراستها دراسة علمية نقديّة. ومن أهم أسباب البحث: حماية جناب العقيدة الإسلامية من تأثيرات المد النسوي عموما والأنثوي على وجه الخصوص. وتمكن مفكرات التيار الأنثوي من وسائل التأثير، وعلى رأسها برامج التواصل الاجتماعي، بحيث يستوجب على الباحثين دراسة كيفية تأثير التنظيرات الأنثوية المعرفيّة على المفاهيم العقدية. والمنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي الاستنتاجي. وانتظمت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث، اشتملت المقدمة على ملخص للبحث، مشكلة البحث، أهمية البحث وأسباب اختياره، والمنهج المتبع فيه، أما مباحث الدراسة فقد قُسمت على ثلاثة مباحث، المبحث الأول: عقيدة وحدة الوجود، المبحث الثاني: (هل العبد مخيّر (له مشيئة) أم مُسيّر(مجبور)؟)، المبحث الثالث: هل (الله بذاته وبأسمائه وصفاته) هو انعكاس يؤكد أم ينفي مبدأ الثنائية (ذكورة/أنوثة)؟ ، المبحث الرابع: ادعاء علم الغيب (الكشف، الكهانة) بوصفهما تجربتان ذاتيتان معرفيتان رافعتان لحاجز الثنائيتين.

الكلمات المفتاحية: عقيدة وحدة الوجود، نظرية المعرفة الأنثوية، مبدأ الثنائية، تطبيقات الفكر النسوي المعاصر

Abstract:

This study deals with the impact of feminine epistemology on Islamic beliefs, as it sheds light on the attempts of some thinkers belonging to the feminist movement to analyze and read

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

religious texts and doctrinal concepts such as the concept of (unity of existence) by destabilizing and dismantling the principle of duality between (the creator and the created) and (the other/ and the self), which creates a false perception of the partnership between the servant and the Lord - God forbid -and what follows that is the demolition between the dualities (the unseen / the testimony) and etc , which turn to threaten the accurate understanding of doctrinal issues, so this study came to emphasize the necessity of protecting the Islamic beliefs from the misleading intellectual challenges. The research problem is represented in the effects caused by feminist thinkers' who read the Islamic texts and doctrinal concepts, based on their feminine epistemological theories, which are based on demolishing the barrier between dualities, which requires studying them a critical scientific study. The importance of the research and the reasons for choosing it: Protecting the Islamic beliefs from the effects of the feminist movement's in general and the feminine in particular, The feminist movement's thinkers enable the influence methods, especially in social media programs, so that researchers must study how feminine epistemological theories affect the doctrinal concepts. Research objectives: Study how contemporary feminist intellectual readings affect the Islamic doctrinal concepts, Enhancing accurate understanding of doctrinal issues according to the right Islamic approach. The methodology followed in this research is the inductive deductive approach. This study is organized into an introduction, a preface, and three chapters. The introduction included an abstract for the research, the research problem, the importance of the research, the reasons for choosing it, and the methodology followed in it. As for the study topics, they were divided into three topics. The first topic: Does the servant have a free will or is he controlled (forced)?. The second topic: Is Allah, in his essence, names, and

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

attributes, a reflection that confirms or denies the principle of duality (masculinity / femininity)? The third topic: Claiming knowledge of the unseen (revelation and divination) as two subjective cognitive experiences that remove the barrier of duality.

Keywords: The doctrine of unity of existence , the theory of feminine epistemology, the principle of dualism, applications of contemporary feminist thinkers.

تمهيد

إن في دعوى هدم الثنائيات بين (الذات/ الآخر) في الخطاب النسوي العربي تذبذب بين عموم وخصوص، فالعمومية تأتي من حيث شمولها هدم الحد الفاصل بين (الخالق/ المخلوق)، فيكون الوجود وحدة واحدة "فليس عندهم خالق ولا مخلوق، فالله هو الخلق والخلق هو الله! تعالى الله عما يزعمون"(١)، وأما الخصوص فيمكن ملاحظته في كتابات بعض المفكرات المنتميات للنسوية الإسلامية، فذاك الهدم يقف عندهن تحت خط ثنائية وجود منفصلة (للخالق/المخلوق)، وربما أُلبس لباسيّ الحلول بمعنى: "حلول الله في المخلوقات كحلول الروح في الجسد"(٢)، ولباس الاتحاد بمعنى: "اتحاد الله تعالى -بزعمهم- مع المخلوقات كاتحاد الجسم مع الجسم"(٣)، وفي هذا المبحث عرض لبعض التطبيقات المتعلقة بنظرية المعرفة الأنثوية في باب العقائد، كقولهن بوحدة الوجود، والمشيئة ، وكذا قولهن في صفات الذات الإلهية ونحوها.

المبحث الأول: عقيدة وحدة الوجود

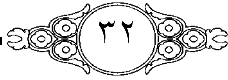
إن فيما تكتبه الكاتبة د. نوال السعداوي حول (مفهوم الحرية) وجه من المطابقة لعقيدة وحدة الوجود، فقد قسمت الحرية إلى حرية سلبية، وحرية إيجابية، فسرت الأولى بأنها تلك الحرية التي يحصل عليها الفرد عندما يشعر بالأمن الاجتماعي، إلا أنه يصاحبها إحساس بالقلق والخوف والوحدة، ورمزت إلى هذه الحرية السلبية بانفصال الطفل عن جسد أمه "أو جسدي الكون وفقد ذلك الأمان الذي تعوده حين كان جزء صغيرا في شيء كبير، ولم يكن مسؤولا عن شيء بل كان جسد الكون هو الذي يحركه وهو المسؤول عنه... ويحاول الإنسان أن يتغلب على حدته وعزلته وقلقه

---

(١) شرح الطحاوية، لناصر بن عبد الكريم العلي العقل: (١٣/٢٠) مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net

(٢) شرح الطحاوية، للعقل: (١٣/٢٠).

(٣) شرح الطحاوية، للعقل: (١٣/٢٠).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وخوفه بأن يبحث عن وسائل تجعله يتحد مرة أخرى بالكون أو أن يكون جزء من شيء أكبر؛ بحيث إن الإنسان لا يمكن بحال أن يعود إلى رحم أمه، إذن لا بد أن يجد في المجتمع من حوله حبلا سريا جديدا يصله بالعالم به، حينئذ يشعر بالأمان ويضيع منه الإحساس بالوحدة والانعزال والقلق"(٤)، وترى الكاتبة بأن المجتمع لا يوفر هذا الحبل السري ولذا لا يتمتع المجتمع بحرية إيجابية، فهو وإن تحرر أفراده من الروابط الأولية بالعالم، إلا أنهم عاجزون أن يخلقوا روابط أخرى جديدة مع هذا العالم "إن الحرية الحقيقية هي تلك الحرية الأخيرة التي يشعر بها إنسان حر مستقل نجح في أن يتحد بالعالم والناس"(٥).

وهنا عند حديثها عن الذات المتحدة بالعالم الخارجي، تؤكد رفضها للانفصال بين الثنائيتين (الذات/الأخر) في طبيعة المعرفة الأنثوية، وإنما ترى ضرورة اتحاد الذات و الموضوع، وهذه عقيدة وحدة وجود واضحة وصريحة تتبناها الدكتورة نوال السعداوي وتدعو إليها وتحث الشباب والشابات على ألا يكبتوا ما يدور في خلدهم من أفكار حتى وإن خالفت الثوابت، حتى وإن كانت سؤالا عن وجود الله(٦)، "فإن الصحة النفسية هي قدرة الإنسان على أن تكون أفكاره ورغباته وأفعاله أصلية، ونابعة منه حقيقة، ومعبرة عنه حقيقة"(٧)، وتضيف: "الحرية لصحة النفس كالهواء أو الأوكسجين لصحة الجسد، ان قل الأكسجين فسد الدم وإذا انعدم مات الجسد كله، وكذلك بالنسبة للحرية، إذا قلت فسدت النفس وإذا عدمت ماتت النفس، وإن ظل الجسد حيا يرزق"(٨)، وكذا نجد تأييدًا أكثر وضوحا لمقالتها الوجودية هذه متعلق بما صاغته في مسرحيتها (الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة) من مقولات عن الرب الأعلى -تعالى وجل عن قولها- مخاطبا الحضور: "طلبتم مني الحضور لاجتماع القمة هذا، جئت إليكم بهذا الشكل الآدمي وإلا فزعتم من أي شكل آخر، أردت أن أهبط إليكم على شكل (روح)، لكن (الروح) لا شكل لها ولا وجود لها إلا في الخيال... لا يوجد جسد بدون روح، ولا توجد روح بدون جسد وعقل"(٩)، وتنسب إليه قولها عنه -تعالى وعز- حين ذكرت اعتراف الرب الأعلى وندمه وحسرته على كذبه فما وجوده مختلف عن غيره: "والحقيقة أيها السادة والسيدات أنني كنت أعيش في مصر القديمة،

(٤) الأنثى هي الأصل، نوال السعداوي (١٧٩-١٨٠).

(٥) المرجع نفسه: (١٨٠).

(٦) المرجع نفسه: (١٨٣).

(٧) المرجع نفسه: (١٧٩).

(٨) المرجع نفسه: (١٨٤-١٨٥).

(٩) الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة، نوال السعداوي: (٧٢).



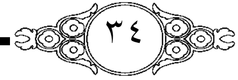
ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وكنت أسعى إلى الحكم بعد أن أحارب فرعون وأقتله...وانتصرت عليه مع موسى وقومه إسرائيل...وتصادف أن هجم على مصر من الصحراء أسراب من الجراد، فانتهزت الفرصة وقلت: أنا الذي أرسلت هذا الجراد"[١٠]، ثم هي تؤكد على بطلان نظرية الخلق بعد تقدم العلوم، وعلى فرض "إن كنت أنا خالقكم رجال ونساء فقد خلقتكم نساء ورجال بأجساد وعقول وأرواح متحدة داخل كيان الجسد. إذا حُرم الجسد من حياته ورغباته حُرم العقل أيضا وحُرمت الروح أيضًا"[١١]، فالكاتبة تسعى وبشكل حثيث لنفي وجود مستقل لذات وخالق منفصل عن المخلوق، ثم هي تعيد في كل مرة لتنبه على أن أصل الوجود هي الأنثى التي تلد وتهب الحياة وليس العكس.

كما يتضح أيضا وجه مطابقة هذه العقيدة (وحدة الوجود)، في خطاب النسوية المتأثرة بتجارب الصوفية، ومنهن الكاتبة ألفة يوسف، والتي تنطلق من اعتقاد جازم بأن معرفة الله، لا تتم عن طريق المنطق والعقل ولا التجربة، وإنما يستطيع الإنسان معرفته نفسيا أي بحدسه[١٢]، عن طريق علامات خفيّة تتجلى وتنكشف للعبد، "فالله لا يكون إلا في غيابه"[١٣] مشيرة إلى أن هذه الذات الإلهية (الحق) كما تسميها، تحضر فينا نحن المخلوقين كما الصوت، ويكفي أن نخرج من صورتنا حتى نسمعه[١٤]، وعليه ترى بأن التسليم والرضا كامنين في هذا الاستسلام الروحي للإشارات غير قابلة للإثبات ولكنها بالتأكيد موجودة، مستندة على حادثة وقعت مع نبينا الكريم ﷺ، حين ترك الناقة وقت دخوله المدينة تختار الموضع الذي تبرك فيه، فليس "اختيار الناقة بفعل منطقي وتمحيص عقلي، ولكن الرسول رضي الدخول في منطق آخر، يخرج الذات من موقع القدرة الوهميّة إلى موقع الاستسلام الروحي"[١٥].

وكأنه صلوات ربي وسلامه عليه كما تصفه -والعياذ بالله-، تجسّم عرضي شاهد لذات الله الجوهر الغائب، لذا محمد مجرد صورة استسلم لروحه بكل انقياد وطاعة راضي ومؤمن بحكم الله، "فالرضا في بعده الأقصى نفسي عميق بأن الله تعالى هو

(١٠) المرجع نفسه: (٧٣).
(١١) الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة، منال السعداوي: (٧٤).
(١٢) ينظر: ناقصات عقل ودين، ألفة يوسف: (١٩).
(١٣) المرجع نفسه: (٢٧).
(١٤) ينظر: المرجع نفسه: (٢٨).
(١٥) المرجع نفسه: (٢٨).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الفاعل الأوحد"[١٦] فيستسلم ويستجيب لعلامات الله في الكون، على الرغم من عدم حصوله على ضمان ماديّ "يثبت أنها فعلا العلامات المقصودة"[١٧]، وهنا تحققت عبوديته بتحقيقه الإيمان بالغيب، فاستطاع أن يصل إلى أعماق ذاته ووجد السبيل للقاء الله داخلها، ومثله بقية البشر المواضيع الفانية، إذا استطاعوا أن يسبروا أغوار هذه الذات ويسافروا إلى الله "بعيدا عن كل الفتاوى والطقوس والعادات"[١٨]، الخالية من كل بعد روحي، القامعة لأصواتنا بأمر ونهي، "التي تدعي لكل شيء جوابا ولكل حيرة ردعا ولكل بحث حدا"[١٩]، يكونوا قد حققوا الإيمان.

إذن كل تلك الطقوس غير معتبرة عند ألفة يوسف، ومثلها الأديان فجميعها تضعها الكاتبة في سلة (التجارب الروحانية هي طريق إلى الله تعالى)[٢٠]، واستدلت بدعوتها للسفر إلى أعماق الذات حيث الألم واليأس والافتقار سبيلا إلى صوت الله داخلنا بقوله تعالى: وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا * قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا * [٢١]، وبحديث قدسي كذلك، تقول الكاتبة: "لقد ورد في أحد الأحاديث القدسية: "إن العبد إذا تقرب إلى الله أحبه فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها"[٢٢][٢٣].

([١٦]) وجه الله ثلاثة سبل إلى الحق، ألفة يوسف: (١٢٧). ط١/٢٠١٩م، دار النشر مسكيلياني – تونس، منشور على موقع ألفة يوسف على الرابط: https://www.olfayoussef.com/ar/livres

([١٧]) ناقصات عقل ودين، ألفة يوسف: (٢٨).

([١٨]) ناقصات عقل ودين، ألفة يوسف: (٢٨).

([١٩]) المرجع نفسه: (٢٨).

([٢٠]) وجه الله ثلاثة سبل إلى الحق، ألفة يوسف: (٩).

([٢١]) سورة الشمس، الآيات: ٧ - ١٠.

([٢٢]) ناقصات عقل ودين، ألفة يوسف: (٢٨)، الكاتبة رجعت إلى كتاب: الأحاديث القدسية، بيروت ، دار الكتاب العربي(د-ت) ج١ ص٨١. لا يدرج كتاب الأحاديث القدسية هذا في المراجع ابدا

([٢٣]) ورد الحديث في صحيح البخاري بهذه الصيغة: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته"، صحيح البخاري، باب التواضع، برقم (٦٥٠٢): (٨ / ١٠٥).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وفي موضع آخر جاء تصريحها واضحًا منغمسا في عقيدة وحدة الوجود، وذلك في كتابها (وجه الله ثلاثة سبل إلى الحق) وتحت عنوان عريض سطرته ألفة (وهم ثنائية الذات والموضوع)[٢٤]، بينت فيه خطأ التصور الشائع في قولنا (المعرفة بالله) وفق اعتقادها، وذلك من حيث أننا نجعل الإنسان يمثل ثنائية (الذات العارفة) بينما يمثل (الله موضوع المعرفة)، والصواب بحسب رأيها أن الله يمثل (الذات المطلقة) "الذات الأصلية الجوهرية والكون كله مواضيع تشير إليه"[٢٥]، فالله لا يُرى ووحدها الموضوعات هي التي ترى، وعليه فالله تعالى لا يمكن " أن يكون موضوع المعرفة، إنه هو الذي به يتحقق إمكان المعرفة. هذا ما نفذ إليه موسى بعد أن خر صاعقا إثر نشدانه رؤية الله تعالى: ژ ئۆ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئد ژ"[٢٦]، فجميع تلك التقسيمات التي تستقل فيها كل ثنائية من ثنائيتي (الذات/الموضوع) عن الأخرى، هي مجرد وهم فُرض علينا لغويا، "أما عرفانيا فلا وجود إلى لله تعالى وحده، فهو العارف والمعروف"[٢٧]، وفي خاتمة الكتاب تذكر ما نصه: "قد يرى أحدكم هذه المرأة في الشارع أو في الطريق، قد يرى البعض صورتها بعد قرون على غلاف كتاب، أو قد تشاهدونها تتحدث من خلال فيديو على النات، لو رأيتموها فتذكروا أنها ليست (أنا)... اذكروا أن (الأنا) الوحيدة هي (أناه) وأن لا وجود لسواه"[٢٨]، فهذه محاولة جادة لهدم مبدأ الثنائية من قبل ألفة يوسف في باب الوجود.

المبحث الثاني: (هل العبد مخيّر (له مشيئة) أم مُسيّر(مجبور)؟)

جاء في هذه المسألة قول الطحاوي-رحمه الله- في متنه: "وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد"[٢٩]، "فالحاصل: أن فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوق لله تعالى، ومفعول لله تعالى، ليس هو نفس فعل الله. ففرق بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق. وإلى هذا المعنى أشار الشيخ رحمه الله بقوله: وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد - أثبت للعباد فعلا وكسبا، وأضاف الخلق لله تعالى. والكسب: هو

---

(٢٤) وجه الله ثلاثة سبل إلى الحق، ألفة يوسف: (١٧٣).

(٢٥) المرجع نفسه: (١٧٥).

(٢٦) المرجع نفسه: (١٧٤).

(٢٧) وجه الله، ثلاثة سبل إلى الحق، ألفة يوسف: (١٧٥).

(٢٨) المرجع نفسه: (٢١٢).

(٢٩) تخريج العقيدة الطحاوية، لأبي جعفر أحمد المعروف بالطحاوي، (٧٥/١) شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني،ط٢/١٤١٤هـ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الفعل الذي يعود على فاعله منه نفع أو ضرر، كما قال تعالى الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [٣٠]"[٣١].

إن أهل السنة والجامعة يثبتون وجود لخالق واحد منفصل في وجوده عن المخلوقين، بمعنى أنهم يحققون مبدأ الثنائيتين، بينما سعت مفكرات ما بعد الحداثة المنتميات للحراك النسوي إلى هدمه، ومنهن الكاتبة ألفة يوسف، ذلك أنها بحثت هذه المسألة، وأجابت فيها عن السؤال كما صاغته هي بقولها: "(هل أعمالنا من اختيارنا أم هل أعمالنا مما نحن مجبورون عليه؟)"[٣٢]، وقبل الإجابة استثنت الأفعال (الاضطرارية) كما تحددها (بدقات القلب والتشنجات العضلية)، وركزت حديثها حول الأعمال البشرية اليومية، فهي ترى أننا ظاهريا نعتقد أن الإنسان حر، وأنه هو الذي يفعل وهو الذي يشاء وهو الذي يختار، ومع هذا نحن نعقل أن الإنسان ربما يتحكم في عمله كأنْ يجتهد من أجل أن ينجح، ولكنه لا يتحكم في النتيجة بمعنى قد يأتي يوم الاختبار مثلا ويمرض[٣٣]، ولكنها تنبه بأن هذا الاعتقاد الدارج (الإنسان يدبر والله يقرر) هو مجرد وهم، ولو تأملنا حق التأمل في هذا القول كما تقول الكاتبة، لأدركنا أننا جعلنا بين العبد والرب شراكة في الفعل، بمعنى جزء من الفعل يستند للمخلوق وجزء يستند للخالق[٣٤].

وهنا تستدرك الكاتبة وتوضح بأن هذه (الشراكة في الفعل) شراكة مضحكة وسخيفة؛ لأمران[٣٥]: الأول أنها تقتضي أن الرب والعبد كلاهما (فاعل) بمعنى في نفس الدرجة، على الرغم من أن الرب هو الذي يقرر القرار الأخير! والأمر الثاني: تراه من السفسطة، وتقول: "يكفي أن نتذكر أن العمل (الاختياري) البشري بذاته هو نتيجة لأعمال سابقة وهذا ما ينزع عنه صفة الاختيار فيحوّله بدوره إلى عمل (إجباري) لاندراجه ضمن سلسلة السبب والنتيجة"[٣٦] وتستشهد بأننا جميعا لم نختار أسماءنا ولا عوائلنا ولا مكان ولادتنا، فكلنا مضطر في صورة المختار، وتُشبّه الكاتبة

---

(٣٠) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦ .

(٣١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، لصدر الدين محمد بن علاء الدين الأذرعي،(٤٤٤/١) تحقيق جماعة من العلماء، تخريج ناصر الدين الألباني،ط١٤٢٦/١ه-٢٠٠٥م، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر.

(٣٢) وجه الله ثلاثة سبل إلى الحق، ألفة يوسف: (٦٤ – ٧٤).

(٣٣) وجه الله ثلاثة سبل إلى الحق، ألفة يوسف: (٦٤).

(٣٤) المرجع نفسه: (٦٥).

(٣٥) المرجع نفسه: (٦٦).

(٣٦) المرجع نفسه: (٦٦).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

هذا الجبر، كإنسان يقوم بدور في مسرحية الحياة، يبدو للمشاهد حرا فيما اختاره ولكنه في الحقيقة ملتزم بتعليمات المخرج، وتتساءل فماذا يبقى من الحرية؟[٣٧]، ثم تتمنى الكاتبة لو أن القارئ لا ينصدم حينما تخبره بأنه لا وجود لأي فعل بشري حر، فلا حرية للإنسان إنما الحرية الله وحدة ولن يكون الإنسان حرا إلا إذا خضع لهذه الذات الإلهية[٣٨].

وتجيب عن الآيات التي أسندت الفعل إلى الإنسان مثل قوله تعالى: وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩)، بأن هذه الآية وغيرها من الآيات حين أسندت الفعل إلى الإنسان كما تؤولها الكاتبة ألفة، بأنه مجرد إسناد شكلي ظاهري، فمشيئة الله هي السابقة لقوله: وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤٠)، واستشهدت بكلام أبي يزيد البسطامي الذي هو -رأس من أعلام التصوف-قال: "(المعرفة أن نعرف أن حركات الخلق وسكناتهم بالله)، وأن أعمال الإنسان مجازية محضة وأن الله هو الفاعل الحقيقي"[٤١]، وعليه فإن الكاتبة تقول مقالة الجبرية في القدر والمشيئة وأفعال العباد، فقد" زعمت الجبرية ورئيسهم الجهم بن صفوان الترمذي: أن التدبير في أفعال الخلق كلها لله تعالى، وهي كلها اضطرارية، كحركات المرتعش، والعروق النابضة، وحركات الأشجار، وإضافتها إلى الخلق مجاز! وهي على حسب ما يضاف الشيء إلى محله دون ما يضاف إلى محصله!"[٤٢]، فلم يكن هناك حاجة لفصل الأفعال الاضطرارية عن الاختيارية في مستهل حديثها، ولا حاجة للتنبيه على الشراكة الموهومة في الفعل بين الله والعبد، فليست ثمة فصل عندها بينهما، فقولها هنا يعيدنا إلى جذرها الذي انطلقت منه، حين نفت ثنائيتي الذات/الآخر، وأضحى الخالق والمخلوق واحدا -والعياذ بالله-.

([٣٧]) المرجع نفسه: (١٢٨). بتصرف يسير

([٣٨]) المرجع نفسه: (٦٨).

([٣٩]) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

([٤٠]) سورة الإنسان، آية: ٣٠.

([٤١]) المرجع نفسه: (٦٩).

([٤٢]) شرح العقيدة الطحاوية، لصدر الدين محمد بن علاء الدين الأذرعي،(٦٣٩/٢) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي،ط١٠ ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

المبحث الثالث: هل (الله بذاته وبأسمائه وصفاته) هو انعكاس يؤكد أم ينفي مبدأ الثنائية (ذكورة/أنوثة)؟

دار جدل واسع بين علماء أهل السنة والجماعة وعلماء أهل الكلام حول (أسماء الله وصفاته)، ومع اختلافهم العميق المشروح في جملة من كتب العقيدة، وعلى الرغم من شطحات المتكلمين إلا أنهم لم يوردوا في جملة كلامهم ما يتعلق بمسألة: هل توصف ذات الله بذكورة أو أنوثة؟ وإنما كان كلامهم متعلق بما ورد بآيات القرآن من وصف الملائكة بالإناث[٤٣] في قوله تعالى: وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ [٤٤]، بينما دارت هذه المسألة حول الذات الإلهية من حيث ارتباطها بثنائيتي (ذكر/أنثى) في حقول الكتاب المهتمين بقضايا كلا من النسوية والجندر، وبعد الوقوف على تلك التوجهات الفكرية ما بعد حداثية في هذه المسألة يمكن بيانها في موقفين اثنين:

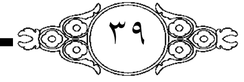
الموقف الأول: الله بذاته وبأسمائه وصفاته هو انعكاس (يؤكد) مبدأ الثنائية (ذكورة/أنوثة).

يميل إلى هذا الموقف عدد من الكتاب والكاتبات، من ضمنهم الكاتبة د. نوال السعداوي، حيث ترى بأن صورة الذات الإلهية المذكرة في الكتب السماوية الثلاثة تخفي خلفها حربًا قديمة شنتها آلهة الذكور على الآلهة الإناث، فانتزعت منهن الألوهية وكرّست لنا مبدأ ثنائي يقوم على اعتبار أن الذكر هو الأصل، والأفضل والأعلى، بينما حطّت من الأنثى واعتبرتها الأسواء والأدنى بعد أن كانت هي الأصل، وحديثها هذا تؤكده المسرحية التي كتبتها تحت عنوان (الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة) ففيها ذكرت د. نوال مقولة نسبتها لله -تعالى الله عما تقول علوا كبيرا- جاء في مطلعها قولها: "ربنا الأعلى: ... أعترف (لكم ولكن) أنني قد تحيزت للرجال دون النساء، وجعلت الرجل مسيطرا على المرأة دون وجه حق... لقد وقعت في أخطاء وتناقضات كثيرة... -إن- هذا الانفصال بين العلم والسياسة والثقافة ، هو انفصال أنا المسؤول الأول عنه؛ لأني فصلت الجسد عن العقل أو الروح، في حين أنه لا يوجد جسد بدون روح، ولا توجد روح بدون جسد وعقل، هذه الفكرة لم تكن

---

(٤٣) ينظر مثلا: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي،(٥٥٣/٢) ط١٤٢٤/١هـ-٢٠٠٤م، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية وينظر: الموسوعة العقدية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الشبكة العنكبوتية على الرابط: https://2u.pw/X10tP5v

(٤٤) سورة الزخرف، الآية: ١٩.



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

فكرتي في الأصل نقلتها عن الملكة (في) أم الإله (إخناتون)، وهو نقلها عن أمه ثم حذف اسم أمه من التاريخ، ونقلت عن إخناتون كلماته ووضعتها في كتاب التوراة دون أن أشير إليه"[٤٥].

والذي يبدو هنا، أن الكاتبة نوال السعداوي تدين بمبدأ الثنائية وتحيله إلى الله -والعياذ بالله-، كما يتفق معها الكاتب فتحي المسكيني حين ناقش في كتابه الجندر الحزين ما عنون له بـ(الجندر والدين) ، وفي خضم حديثه يتساءل لماذا تكون النساء أكثر تدينا؟ على الرغم من أن الدين هو مصدر باعث لأعلى فكرة تواجهنا في هذا النقاش هي فكرة (الله المجندر أو جندر الله)، ثم يحيل هذا التدين إلى عدد من الأسباب الممكنة ومن ضمنها تفسيرات وسمها بالمجندرة كمن قال:" أن الأنثى تتماهى مع الإله بوصفه صورة عن الأب الذكر ومن ثم تجد الدين أكثر جاذبية على خلاف ما يفعله الذكور"[٤٦]، ومربط الفرس في حديث الكاتب فتحي هنا هو قوله: "ربما من المفيد أن نهتم ليس بانتقال الإنسانية من الشرك إلى التوحيد، بقدر ما يجدر بنا أن نوجه أسئلتنا نحو ظروف الانتقال من تأنيث الألوهية في عصر (الربّات) أو (الإلهات) إلى عصر الأرباب أو الآلهة في صيغة المذكر"[٤٧]، منبها على أمرين[٤٨] متعلقين بالإله التوحيدي في الديانات السماوية يمكن استخلاصهما من كلامه، وهما: الأمر الأول: هو ارتباطه الذي لا ينفك أبدا (بالمذكَّر) كضمير مع منع وصفه (بالذكَر) بالمعنى التناسلي وذلك بنص في القرآن وهو قوله تعالى: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﮊ[٤٩]، "ولكن هذا التمييز - كما في تحليل الكاتب فتحي هو - قائم على فراغ نحوي فظيع: المذكَّر هو ما يصح أن تشير إليه بقولك (هذا)... وهو عندئذ إما حقيقي...، أو مجازي ليس له أنثى من جنسه. هذا يعني أن الإله مذكر مجازي أي لا يقابله أي نوع من الأنوثة ومن

---

(٤٥) الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة، منال السعداوي: (٧٢).

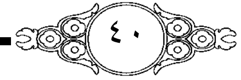
(٤٦) الجندر الحزين، فتحي المسكيني: (٧٧) نقلا عن:

Morny Joy, "God and Gender: Some Reflections on Women's Invocation of the.Divine," in: Ursula King (Editor), Religion and Gender, Wiley, 1995, pp. 121-143

(٤٧) الجندر الحزين، فتحي المسكيني: (٧٧).

(٤٨) الجندر الحزين، فتحي المسكيني: (٧٧-٧٨) بتصرف يسير

(٤٩) سورة الإخلاص، الآية: ٣.



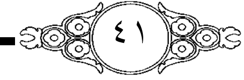
ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ثـم هـو يقـع خـارج أفـق الحيوانيـة بعامـة، أي معنـى عندئـذ بتـذكير الألوهيـة عنـد الإبراهيميين؟"[٥٠].

وأمـا الأمـر الثـاني: فهـو إمكـان المـرور مـن الإلـه الواحـد (يهـوه) إلـى الكثـرة المتعددة (أُلوهيم) وهنا يعلق الكاتب: "ربما هو حدث لاهوتي لا يمس بجندر الإلـه فـي ثقافة التوحيديين"[٥١] إلا أن الكاتب يستنكر فكرة الألوهيـة كمعنـى مُجندر بعنايـة فائقـة في هذه الديانات، فلا مانع من تعدد أسماء الله الحسنى في الإسلام ، ولا نجد مانعًا من الكثرة في الديانتين المسيحية واليهودية، فكلها مجرد تعبيرات أو تجليات للإلـه الواحد إلهة الآلهة، لكن الذي "لا يتغير هو جندر الإله/الأب: إنه المذكَّر الواحد أو الوحيد مـن نوعـه، وانطلاقـا منـه تبـدأ سلسـلة الجنـادر فـي أدوار سـردية تأسيسـية: الله/المـذكر؛ الشيطان/ المذكر، آدم/ الذكَر، النبي/ الذكَر. وذلك في تسـاوقٍ صـارم مع الأب/ الذكر والملك /الذكر والنحو/ الذكوري...-إن- قائمة الأسماء الحسنى هي أسماء مذكَّرة"[٥٢]، وعليه يحيل الكاتب فتحي فكرة مبدأ الثنائيـة إلـى الإلـه الواحد بمـا يحملـه مـن أسـماء وصـفات، مؤكـد علـى أن "الإيمـان مجنـدر سلفا؛ وذلـك طالمـا هـو يعتنـق عقيـدة الإلـه الواحد الذكر النحوي والأنطولوجي الذي يحميـه (الرجـال) وتخضـع لـه (النسـاء) باسـم تشريع مقدس حول التمييز الجنسي بين الذكر والأنثى"[٥٣].

وتجدر الإشارة هنـا إلـى أن الكاتـب فتحـي لا يُحّمـل الـدين المسـؤولية الكليـة فـي تـذكير الآلهـة[٥٤]، وإنمـا يعزوهـا بحسـب قراءتـه اللسـانية للمفـردات الدينيـة، إمـا إلـى مسـألة نحويـة صـرفة متعلقـة بطبيعـة اللغـات السـامية ثـم هـي تحولـت بعد إذ إلـى بنـى تداوليـة أقامـت عليهـا الأديـان فقههـا الهـووي، وإمـا إلـى ثقافـة حقيقيـة بالفعـل اسـتبدادية اسـتبد فيهـا الـذكر علـى الأنثـى "اسـتبدادا تحـول إلـى تكـريس هـووي دخـل فـي ميـدان المقدس وانقلب إلى حواس طويلة الأمد لشعوب بأكملها"[٥٥]، والعبرة التي ينتهي إليهـا الكاتب هو عدم قدرتنا علـى الخـروج من الجنـدرة اللغويـة، مـع حثـه علـى تفكيك هذه

([٥٠]) الجندر الحزين، فتحي المسكيني: (٧٨-٧٩).
([٥١]) المرجع نفسه: (٧٧).
([٥٢]) المرجع نفسه: (٧٨).
([٥٣]) المرجع نفسه: (٧٤).
([٥٤]) المرجع نفسه: (٧٩-٨٠). بتصرف
([٥٥]) المرجع نفسه: (٧٩).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

البنية الجندرية المقدسة للذكورة على حساب الأنوثة في الأديان السماوية، عن طريق تخريبها من الداخل ، منبها على أنه لا يدعوا إلى الإلحاد وإنما إلى مجرد زعزعة ما تتمتع به من سلطة لتذكيرها في كل مرة بأنها " لم تعد تتمتع بأي حصانة روحية. إن الإيمان ليس مشكلا نحويا وحين نكف عن جندرة الله أو آدم أو النبي يكف الدين عن إنتاج ثقافة الملة وكأنها رسالة سماوية، والحال أنها مجرد ظواهر تداولية"(٥٦).

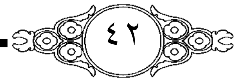
وفي معرض حديث الباحثة والنسوية أم الزين بنشيخة المسكيني في كتابها صخب المؤنث، نلمح موافقتها للكاتب فتحي حين وصمت اللغة والنحو (بالذكوري)، استنادا على ما ورد في ثناياها من تراتبية هرمية تُحقّر من شأن الأنثى على حساب الذكر، كما أنها "لا تُعرّف إلا انطلاقا من الذكر، ولا يتم تعريفها بوصفها كيانا لغويا مستقلا، والمثير في تعريف الأنثى في لسان العرب هو مماثلة جمعها النحوي بجمع الحمير... أيُّ مثال مثير للسخرية من المؤنث يورده لسان العرب للتدليل على سلطة النحو الذكوري ومكره عبر ترتيب جمع الإناث مع جمع الحمير؟"(٥٧)، والشاهد حول مسألة تأكيد انعكاس الثنائية كمبدأ في الذات الإلهية يظهر في توجيهها أصابع الاتهام لما أسمته "الإحالة على الآلهة المؤنثة" وتعني به ما ورد في القرآن الكريم في الآية الكريمة في قوله تعالى إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا (٥٨)، فالكاتبة تراه حين ربط الإناث بأحجار وأخشاب وأشجار، استحقت المؤنث على إثرها أن تُعاقب " على خلفية نوع من المعركة الإسلامية ضد التوثين، وضد اللات والعزى كرمز للآلهة الوثنية المؤنثة في المخيال العربي القديم"(٥٩).

الموقف الثاني: الله بذاته وبأسمائه وصفاته هو انعكاس (ينفي) مبدأ الثنائية (ذكورة/أنوثة).

وهنا تحسن الإشارة إلى أن هذا (النفي) يكون من وجهين: الوجه الأول هو نفي بمعنى (انتفاء مشابهة الخالق للمخلوقين) بالتالي بطلان هذه المسألة، مع إبقاء مبدأ الثنائية أو الزوجية في حيز (المخلوقين)، وممن رد عن الله تعالى ما ألصق به من تشبيه الكاتبة في الفضاء النسوي هبة رؤوف عزت، ففي معرض حديثها ردا على

---

(٥٦) الجندر الحزين، فتحي المسكيني: (٨٠).
(٥٧) صخب المؤنث، أم الزين بن شيخة المسكيني: (١٣).
(٥٨) سورة النساء، الآية: ١١٧.
(٥٩) المرجع نفسه: (١٣).



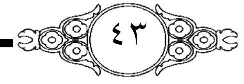
ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الكاتبة نوال السعداوي في كتابيهما (المرأة والدين والأخلاق) أنكرت عليها التشويش في تصورها للآلهة[٦٠] إذ أعادت أصله إلى الإناث وفق الأساطير الفرعونية، فهذا جهل وصمت به الكاتبة هبة الكاتبة نوال إذ كيف بامرأة عربية تجاوزت هذا العمر تقرأ النصوص في القرآن والسنة و ما ورد بالعلوم الشرعية التي توضح انتفاء مشابه الله لخلقه مثل قوله تبارك وتعالى: وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ [٦١] ثم نجدها جاهلة بصورة الله في الإسلام! ولا تدرك "بأن في الإشارة له بأنه (هو) مجاز لأن اللغة قاصرة، ولو قلنا (هي) لثارت ذات الإشكالية، ولا فرق لو قلنا (هو/ هي) لأنه في النهاية لا (هو) ولا (هي) ولا ذكوره أو أنوثة وأن هذا هو جوهر التوحيد في الإسلام"[٦٢].

أما الوجه الثاني: فهو النفي بمعنى (لم يكن هذا المبدأ الثنائي مقصد الشارع الحكيم، وإنما هو واحد في ذاته حوى كل الأنواع والكثرة والتعدد في الأسماء والصفات ذكورة وأنوثة)، في إشارة إلى ضرورة العودة للأصل النافي لمبدأ الثنائية القابل لمبدأ الأنواع المتعددة ، ومن المفكرات من تميل إلى هذا الموقف مثل الكاتبة آمنة ودود، فهي تنطلق في مقالها (بحث في القرآن والجنسانية)[٦٣]، من اعتقاد بأن "للقرآن مقصدا ثابتا أزليا...وكل صورة من صور فهم البشر لكلية الطبيعة الإلهية هي بمثابة نافذة يمكن من خلالها للفرد أو للجماعة الوصول إلى تلك الكلية"[٦٤]، ومن ثمَّ جميعنا بمختلف أدياننا ومذاهبنا وأنواعنا نسعى عن طريق نافذة (المـُقدّس) للوصول إلى الله الواحد، والشاهد هنا هو رؤيتها حول ما يخص هذه (الوحدانية الإلهية)، فالله كما تراه آمنة يحمل في ذاته تسعة وتسعين اسما، (السميع، الرحيم، الجبار ...إلخ)، وكذا يحمل صفات منها أنثوية مثل صفات (الجمال) ومنها صفات ذكورية مثل صفات (الجلال) وكل هذه الصفات مجتمعة تعود إلى (واحد)، تقول الكاتبة:" إذا كان لله تسعة وتسعين اسما، أو صفة أو خاصة، إذن فالتركيز على واحدة منها بعينها لا يعد انفصالا عن وحدانية الله المتكاملة، كما لا يعد مساويا لحقيقة الله الشاملة التي تضم

---

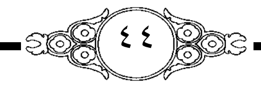
(٦٠) المرأة والدين والأخلاق، نوال السعداوي: (٢٥٦- ٢٥٧) بتصرف يسير.
(٦١) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٦٢) المرأة والدين والأخلاق، نوال السعداوي: (٢٥٧).
(٦٣) النسوية والدراسات الدينية، أميمة أبو بكر: (٢٥٥- ٢٦٧).
(٦٤) المرجع نفسه: (٢٥٨).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

التسعة والتسعين اسما بلا تناقض بينها... فقبول رحمة الله يعني قبول غضبه، والتركيز على الرحمة لا يعني إنكار الغضب، بل إنه مجرد نزوع إنساني نابع عن إمكانات دنيوية لا عن إمكانات متعالية أو ثابتة أزلية أو مطلقة"[٦٥]، وفي حديثها هنا تأكيد على انتفاء مبدأ الثنائية التي تُعلي من شيء على حساب الآخر، وذلك عن طريق إثبات الأسماء والصفات الإلهية المتعددة، فنحن ومع إثباتنا للتسعة والتسعين اسم لا نتصورها إلا عائدة إلى واحد لا متعدد ، في إشارة إلى أننا كأديان وكجماعات وأفراد لسنا متناحرين ولا أصلنا عائد إلى جنسيين اثنين فقط، وإنما نحن متعددين نعود كلنا إلى أصل واحد ، نعم بيننا وجه تضاد كما تتضاد صفاته -تعالى عما تقول- ولكننا مجتمعين نشكل وحدة واحدة، في دعوى إلى قبول التعددية الدينية، والجندرية، النافية لمبدأ الثنائية النابعة- وفق اعتقاد الكاتبة- من فكرة الجنسانية الذكورية المتأصلة في القرآن الكريم[٦٦]، الذي " كان يخاطب مستمعيه الأولين في سياق الظروف الاجتماعية والتاريخية والثقافية التي نزل فيها... فقد كان من اللازم أن يكون للقرآن معنى سياقي وإلا فلسوف يفشل منهجه المعلن في أن يكون عربي مبين"[٦٧]، إذن فلا تعجب الكاتبة من هذه الجنسانية الذكورية فقد نزل الكتاب المقدس على المسلمين في الجزيرة العربية المشبعين بفكرة هيمنة الذكر على الأنثى، أما اليوم فإن فهم (الجندر) يعيننا على تطوير الفهم الإنساني بحسب رؤية الكاتبة آمنة ودود مؤكدةً على أهمية إعمال ذواتنا الفاعلة من أجل تحقيق المقصد الإلهي الثابت "الذي يتكشف سياقيا من خلال آيات القرآن"[٦٨].

(٦٥) المرجع نفسه: (٢٥٨).
(٦٦) ترى الكاتبة آمنة ودود أن في القرآن ما يوحي بأنه يعمل داخل بنية من المحاذير اللغوية المتعلقة بالجنسانية، ففيه ما يثبت إعلاء جنسانية الرجل على المرأة، وذلك في ثلاثة صور: تعدد الزوجات، الإشارة للنساء بالحرث، الحور العين. ينظر: النسوية والدراسات الدينية، أميمة أبو بكر: (٢٥٥).
(٦٧) ينظر: المرجع نفسه: (٢٥٦).
(٦٨) ينظر: المرجع نفسه: (٢٦٧).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

المبحث الرابع: ادعاء علم الغيب (الكشف، الكهانة) بوصفهما تجربتان ذاتيتان معرفيتان رافعتان لحاجز الثنائيتين

يعتقد أهل السنة والجماعة اعتقادا جازما بأن الغيب المطلق لا يعلمه إلا الله، ولا يمكن بلوغه بأي وسيلة أو تجربة مهما كانت بصرف النظر عن جنس الساعي لكشف الغيب ذكر/ أنثى، لقوله تعالى: قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٩)، يقول شيخ الإسلام -رحمه الله- "وهو سبحانه قال: مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، ولم يقل: (ما)، فإنه لما اجتمع ما يعقل وما لا يعقل غلب ما يعقل وعبر عنه بـ (من) لتكون أبلغ، فإنهم مع كونهم من أهل العلم والمعرفة لا يعلم أحد منهم الغيب إلا الله. وهذا هو الغيب المطلق عن جميع المخلوقين الذي قال فيه عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٧٠)، والغيب المقيد ما علمه بعض المخلوقات من الملائكة أو الجن أو الإنس وشهدوه فإنما هو غيب عمن غاب عنه ليس هو غيبا عمن شهده"(٧١)، وخالف هذه العقيدة من ادعى تجربة فريدة يبلغ بها معرفة الغيب كله أو بعضه، وذلك في لحظة يرفع فيها الحد الفاصل بينه وبين المغيبات عنه، أي: بين عالمي: (الغيب/ الشهادة)، ومن هذه التجارب المرتبطة في الفكر المعرفي الأنثوي من آمنت من المفكرات بمصدرية الحدس والكشف أي (التجربة الصوفية سواء كانت أنثوية أو عامة)، وكذا من احتفت (بالكهانة) كمصدر معرفي أنثوي.

أما الكشف في اللغة والاصطلاح: فقد جاء في مادته (كَشَفَ) عند ابن فارس قوله: "الكاف والشين والفاء أصل صحيح يدل على سَرْوِ الشيء عن الشيء، كالثوب يُسْرَى عن البدن"[٧٢]، ومثله في لسان العرب: "الكشف: رفعُك الشَّيْءَ عَمَّا يُواريه وَيُغَطِّيهِ" وأما الكشف عند الصوفية فهو من سبل المعرفة كما يعرفه الجرجاني: "هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجودًا وشهودًا"[٧٣].

([٦٩]) سورة النمل، الآية: ٦٥.
([٧٠]) سورة الجن، الآية: ٢٦.
([٧١]) مجموع الفتاوي، ابن تيمية: (١١٠/١٦).
([٧٢]) مقاييس اللغة، ابن فارس: (١٨١/٥)
([٧٣]) التعريفات، للجرجاني: (١٨٤/١)

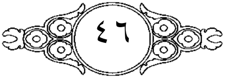


ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ومن المفكرات النسويات اللاتي يأخذن بهذه التجربة الصوفية وينطلقن منها معرفيا الكاتبة آمنة ودود، ففي معرض حديثها عن الجنسانية نفت أن يكون الله (كذات) مقيد بنا، مشيرةً إلى أن صورة الشاكر (تحديدا السادسة) بوصفها أحسن ما يمثل تصوراتنا عن الله من حيث تضمنها مفاهيمنا الشخصية عنه، كما تؤكد على أن (الشاكر السابعة) وهي التاج -كما تدونها- هي صورة لا يمكننا نحن البشر أن نبقى فيها سوى لغمضة عين فقط، وإلا أصبحنا نحن أنفسنا آلهة وهذا ممتنع، ذلك أن " هيئاتنا المادية ستسمح لنا فقط بلمحات ثملة من تلك الحقيقة، نعاني بعدها من الاستفاقة على آلام الفراق والشوق واليأس. إن هيئاتنا الأرضية تقيدنا، ولا يبقى لنا بعد زوال لحظة التكشف تلك سوى إحساس عميق بالانسلاب"(٧٤)، إذن الكاتبة تؤمن بإمكان رفع الحجاب عن عالم الغيب، وذلك الزوال للحد بين العالمين (الغيب/الشهادة) يتم في ثوان ولحظات فقط وإلا لأصبحنا آلهة - والعياذ بالله -.

كما تتفق معها الكاتبة ألفة يوسف بكتاباتها المشبعة بصبغة صوفية في جملتها، نذكر منها ما أوردته في كتابها (وجه الله) حول تجربتها الروحية الذاتية التي يعسر قولها، فقد قدمت للكتاب بقولها: " نُقرّ منذ البدء أن كل التجارب الروحانية هي طريق إلى الله تعالى..، وقد وجدنا في دراساتنا وتجاربنا الروحانية تقاطعات متعددة بين الطرائق المختلفة، وهي تقاطعات أفادتنا في توسيع آفاق المعرفة وفي تعميق وجوه التجربة"(٧٥)، وتضيف: "اكتشفت بأخرة أني أمضيت عمري أعبد القرآن لا الله تعالى، لم يقذف الله تعالى فجأة نورا في صدري، ولكني وجدت الحياة تقودني شيئا فشيئا عبر كل مسالكها وثناياها نحو الحق، فلم تكن تجربتي الروحانية نورا ساطعا مفاجئا ولكنها كانت سبيلا ارتفعت فيه عبر الزمان حجب الظلمات"(٧٦)، ثم إن الكاتبة أصدرت كتابا (ذاتيا) تم اصداره قبيل أشهر تحت عنوان (حبيبات الله في تونس: على خطى المزارات الانثوية) تحدثت فيه ونقلت نقلاً شفويًّا عن خمسة وعشرين وليّه من الوليات التونيسات "كلهن يؤكدن أن للولاية الأنثوية حظوة كبيرة بتونس، كلهن يؤكدن أن النبوة والولاية كلاهما اصطفاء من الله، فلئن لم ينقل التاريخ الديني

(٧٤) النسوية والدراسات الدينية، أميمة أبو بكر: (٢٦٠).
(٧٥) وجه الله ثلاثة سبل إلى الحق، ألفة يوسف: (٩).
(٧٦) المرجع نفسه: (١٢).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الأرثودوكسي وجود نبيات، فإن المخيال الصوفي الروحاني يحتفي بالوليات"[٧٧]، وفي لقاء كان عبارة عن أمسية عشاء حواري[٧٨] عقد من أجل كتابها الجديد، أجابت فيه ألفة عن سؤال: لماذا هذا الكتاب؟ مبينة الأسباب الموضوعية والذاتية الداعية لكتابته بقولها:" على الرغم من اهتمام الدارسين والباحثين بالتراث الصوفي إلا أن أكثر الاهتمام متوجه لكتابة تجارب المتصوفة الرجال في تونس" بالتالي لم تأخذ الوليات الإناث حقهن بالذكر ونصيبهن من الاهتمام، مشيرة إلى أن عملها كان عبارة عن عمل ميداني خرجت للوليات في الدور ونقلت شفويا عنهن، معتقدة أنها ستجمع قرابة الخمسة عشر فقط، وإذ بها تفاجأ بالعدد الكبير إذ تبقى ٥٢ ولية لم تدونهن بعد في هذه النسخة، تقول ألفة في اللقاء ذاته: "لقد فهمت قيمة هذه المزارات وآثارها الروحانية والنفسية والأنثروبولوجية... في محاولة لأن أعمل قراءة تتراوح في مقولاتهن بين كلا من الجانب (الأنثروبولوجي، التاريخي، النسوي، والروحاني) أما عن الأسباب الذاتية فأنا عندي علاقة خاصة منذ الصغر تربيت في منزل ربتني فيه جدتي التي كانت تحكي لي حكايا الأولياء الصالحين، ثم أتت مرحلة في حياتي أردت أن أزورهم وشعرت بطاقة في تلك الأماكن، بالإضافة إلى أعمالي الفكرية الروحانية مثل كتاب (وجه الله) لذا قلت لماذا لا أقوم بعمل تواصل مباشر معهن"[٧٩] تهدف من خلالها نقل معرفة أنثوية، وبالفعل هذه كتابة تغلب عليها الذاتية، تنقل فيها الكاتبة تجربة صوفية أنثوية لوليات رأت منهن حاملات لمعرفة متفردة تستحق الظهور، واعتمدت عليها -بذاتيتها الصرفة - كمصدر معرفي في كتابها الأخير.

أما عن (**الكهانة**) فهي تعود في أصلها لمادة (كهن)، "والكاف والهاء والنون كلمة واحدة. وهي الكاهن"[٨٠]، و"الكاهنُ معروف..، وكَهُنَ كَهانةً -أي:- قَضى لَهُ

(٧٧) ينظر مقال (حبيبات الله: سيرة وليات الله كما التقطتها الفة يوسف) منشور في مجلة المغرب ٢٠٢٣/٥/٢٣م على الشبكة العنكبوتية على الرابط:

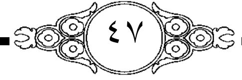
https://2u.pw/DJO86YF

(٧٨) هذه الأمسية منشورة بتاريخ (٢٠٢٣/٠٩/٣٠ م)على تطبيق اليوتيوب في قناة (حمزة البلومي للتحقيقات عبر سلسلة برامج #المحقق) رابط القناة:

http://www.youtube.com/@BelloumiHamza

(٧٩) ينظر المرجع السابق.

(٨٠) مقاييس اللغة، ابن فارس: (١٤٥/٥)



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

بِالْغَيْبِ"(٨١)، إذا "الكهانة المصدر"(٨٢) وهي كما يبينها شيخ الإسلام -رحمه الله- تعني "الإخبار ببعض الغائبات عن الجن"(٨٣)، إذا هي تجربة أو وسيلة يدعي فيها الكاهن/ـة معرفة ما، بالتالي ينال سلطة معينة أو تكون له هيبة وميزة عن غيره في المحيط الذي يعتقد صدقه، ويحتفي بمعرفته، لذا تمنت الكاتبة النسوية الدكتورة نوال السعداوي أن يعود الزمن الأمومي بألوهيته، فذاك الزمن كانت قد" اشتغلت المرأة - فيه - بكل الأعمال، كانت حامية وحاكمة وملكة وكاهنة وإلهة"(٨٤)، فلا يهم سبيل الحصول والوصول، وإنما هي المكانة والسلطة التي نالتها بعد أن استطاعت الاندماج بين عالمي الغيب والشهادة، كما تدرس الكاتبة سلوى بلحاج صالح(٨٥) في مقالها: (الكاهنات العربيات: سلطة ومعرفة) ، التجربة الخاصة للمرأة العربية الكاهنة (لا من منطلق تمجيدي دفاعي كما تصرح في منهجها(٨٦) ولا هو من قبيل الكتابة التاريخية للنساء بوصفها موضوعا وجسدا يشتهى أو جسدا مساندا للرجل)(٨٧)، وإنما من باب محاولة "إبراز دور النساء في صنع الحضارة"(٨٨)، إشارة إلى قدراتها كذات على صنع القرار والتعبير والقول والتصنيف ونحوه ، لتثبت للقارئ بأنها أي: الكهانة "لم

---

(٨١) لسان العرب، ابن منظور: (٣٦٢/١٣)

(٨٢) ينظر: الإبانة في اللغة العربية، سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري ،(١٣٣/٤)، المحقق: د. عبد الكريم خليفة - وآخرون، ط١/١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط - سلطنة عمان).

(٨٣) ينظر: النبوات، ابن تيمية الحراني،(١٦٦/١) المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان،ط١/١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

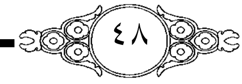
(٨٤) الأنثى هي الأصل، نوال السعداوي: (٢٧).

(٨٥) مفكرة تونسية وأستاذة محاضرة في قسم التاريخ في كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة في جامعة سوسة (١٩٥٩م)، تتركز أبحاثها على إعادة كتابة تاريخ العرب قبل الإسلام وفي فترة الإسلام المبكّر بمقاربة حداثيّة تستند إلى العلوم الإنسانيّة لا سيّما علم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا، من مؤلفاتها: "دثريني يا خديجة" و"العنف في التاريخ". ينظر ترجمة سلوى على موقع المعرفة على الشبكة العنكبوتية على الرابط: https://2u.pw/cwRzR

(٨٦) النساء والمعرفة والسلطة، مجموعة من المؤلفات، بإشراف آمال قرامي: (٦٢).

(٨٧) المرجع نفسه: (٦٣).

(٨٨) المرجع نفسه: (٦٤).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

تكن نشاطا هامشيا بل كانت مؤسسة من المؤسسات المركزية التي يستند إليها العرب في تأمين سير حياتهم الدينية والسياسية والعسكرية"[٨٩].

إذن (الكاهنة) كما تجسدها الكاتبة عاشت تجربة معرفية متفردة وبارزة ولكنها غير حاضرة، في محاولة لتصحيح ما أسمته (صورة نمطية خاطئة) تتمثل في دعوى أن النساء مهمشات تاريخيا قبل مجيء الإسلام، فالكاتبة لا تتفق مع هذه الدعوى التي تخلد لنا فكرة الأنثى (الموضوع)، وتوضح بأن بعض النساء العربيات قبل الإسلام كانت لهن سلطة معرفية و مكانة وكاريزما عالية، لما تمتعن به من (تنبؤ واستشراف لمستقبل الأفراد والقبائل العربية) فقد كانت الكهانة " علم من العلوم في المجتمعات القديمة بما فيها المجتمع العربي في فترة ما قبل الإسلام، وبالتالي فإن السلطة التي كانت تتمتع بها الكاهنات هي سلطة معرفية ولكنها سلطة من نوع خاص، إذ لا مناص للفرد أو الجماعة من الإذعان لها؛ لأنها تتعلق (باستشراف قدرهم ومستقبلهم) وبالتالي فإن سلطة الكاهنات العربيات كان لها بعد غيبي يجعل الناس يهابونه و يخشونها"[٩٠] خلافا لما نقل لنا من الصورة النمطية بأن المرأة العربية قبل الإسلام كانت مهمشة غير مهيبة، حتى جاء الإسلام وأعطاها حقوقها كاملة، فالكاتبة سلوى تؤكد على أن هذه الصورة هي صورة نمطية خاطئة، كما أنها لا تنفي الإيجابيات التي جاء بها الإسلام فيما يخص شأن المرأة بالعموم مقارنة بما كان سائدا قبله، إلا أنها تنبه على أن الإسلام فتح مجال لإمبراطورية ذكورية فأصبحت الأيديولوجية الرسمية للدولة العربية الإسلامية يطغى عليها الطابع الذكوري الأبوي الذي حكم على المرأة بأن تمكث في بيتها، فهذه السلطة الذكورية كما تراها حجبت المرأة عما كانت تتمتع به، وحكمت عليها بالتخلف[٩١].

وفي معرض حديثها تحاول تسليط الضوء على الآلية التي مكنت هذه (الأنثى) من إبراز ذاتها دون غيرها من الإناث، تقول الكاتبة: إن "الكاهنة استطاعت تحقيق سلطة معرفية عن طريق: التنبؤ ورؤية الرؤى وتفسيرها، والقول سجعا، وشعرا ،والكلام الذي ذهب مثلا، والقضاء في المنافرات"[٩٢]، ولم تكن هذه (الأنثى) في

---

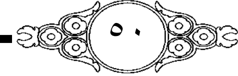
(٨٩) المرجع نفسه: (٦٤).
(٩٠) النساء والمعرفة والسلطة، مجموعة من المؤلفات، بإشراف آمال قرامي: (٨٤).
(٩١) المرجع نفسه: (٨٤=٨٥)
(٩٢) المرجع نفسه: (٧٥).



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وصفها معيبة الخلقة أو منعزلة كما هو حال الأساطير التي وسمت الكهان بهذه الصور، بل تستنج الكاتبة من خلال جمعها لعدد من الكاهنات العربيات عبر التاريخ بأنهن إناث عاديات مندمجات في الحياة الاجتماعية منهن (الأم) و(الزوجة) و(الابنة) ونحوهن، وهن من علية القوم " فالكهانة غير متاحة لأي كان ولا تكتسب سطوتها إلا في علاقتها بالسائس مع توفر المال، فلولا الكهانة لما استطاع السائس فرض سلطته وشرعنتها، وبدون السلطة السياسية لا يمكن للكاهنة الإشعاع وممارسة نشاطها على نطاق واسع"(٩٣)، إذن الكاتبة سلوى تعتقد أن الأنثى إن كانت قادرة قبل الإسلام الحصول على هذه المكانة عن طريق علم من العلوم جعل منها (ذاتا متبوعة مطاعة سائدة) لا (موضوعا تابعا مطيعا مسودا) فعلينا اليوم "إعادة كتابة تاريخنا لرفع الأغشية الأيديولوجية عنه ومحاولة النظر إليه بأكبر قدر من الموضوعية"(٩٤)، وذلك عن طريق مراجعة النظرة الدونية التي عطلت تطور المرأة العربية المسلمة ذهنيا ولا تزال تعاملها بدونية باسم القوانين الإلهية(٩٥).

(٩٣) النساء والمعرفة والسلطة، مجموعة من المفكرات (الإناث)، بإشراف آمال قرامي: (٧٢).
(٩٤) المرجع نفسه: (٨٥).
(٩٥) المرجع نفسه: (٨٥). بتصرف



ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

المراجع:

ابن تيمية الحراني، **النبوات**، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

ابن تيمية، **مجموع الفتاوي**.

ابن فارس، مقاييس اللغة.

ابن منظور، **لسان العرب**.

أبو جعفر أحمد المعروف بالطحاوي، **تخريج العقيدة الطحاوية**، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، ١٤١٤هـ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

ألفة يوسف، **ناقصات عقل ودين**، الكاتبة رجعت إلى كتاب: الأحاديث القدسية، بيروت، دار الكتاب العربي.

ألفة يوسف، **وجه الله ثلاثة سبل إلى الحق**، ط١/٢٠١٩م، دار النشر مسكيلياني – تونس، منشور على موقع ألفة يوسف على الرابط:

https://www.olfayoussef.com/ar/livres

أم الزين بن شيخة المسكيني، صخب المؤنث.

أميمة أبو بكر، **النسوية والدراسات الدينية**.

ترجمة سلوى على موقع المعرفة على الشبكة العنكبوتية على الرابط:

https://2u.pw/cwRzR

الجرجاني، **التعريفات**.

حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، **منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام**، ط١/١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري، **الإبانة في اللغة العربية**، المحقق: د. عبد الكريم خليفة - وآخرون، ط١/١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط - سلطنة عمان).

صحيح البخاري.

صدر الدين محمد بن علاء الدين الأذرعي، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق جماعة من العلماء، تخريج ناصر الدين الألباني،ط١/١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، دار السلام للطباعة والنشر.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

صدر الدين محمد بن علاء الدين الأذرعي، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، ط١٠/١٤١٧هـ-١٩٩٧م، مؤسسة الرسالة – بيروت.
فتحي المسكيني، **الجندر الحزين**.
مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي السقاف، **الموسوعة العقدية**، موقع الدرر السنية على الشبكة العنكبوتية على الرابط: https://2u.pw/X10tP5v
مقال: (حبيبات الله: سيرة وليات الله كما التقطتها الفة يوسف) منشور في مجلة المغرب ٢٠٢٣/٥/٢٣م على الشبكة العنكبوتية على الرابط:
https://2u.pw/DJO86YF
نوال السعداوي، **الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة**.
نوال السعداوي، **الأنثى هي الأصل**.
نوال السعداوي، **المرأة والدين والأخلاق**.
ناصر بن عبد الكريم العلي العقل، **شرح الطحاوية**، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: http://www.islamweb.net
النساء والمعرفة والسلطة، مجموعة من المفكرات (الإناث)، بإشراف آمال قرامي.
هذه الأمسية منشورة بتاريخ (٢٠٢٣/٠٩/٣٠م)، على تطبيق اليوتيوب في قناة (حمزة البلومي للتحقيقات عبر سلسلة برامج #المحقق) رابط القناة:
http://www.youtube.com/@BelloumiHamza
Morny Joy, "God and Gender: Some Reflections on Women's Invocation of the.Divine," in: Ursula King (Editor), Religion and Gender, Wiley, 1995, pp. 121-143.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413